اجتهادات
أزمة لا تخلو من خير

قليلُ من ينتبهون حتى الآن إلى الفرصة التى تحملها الأزماتُ الناتجة عن تداعيات جائحة كورونا والحرب على أوكرانيا والتغير المناخى والتوتر الغالب فى العالم. ما يُسَّميها مسئولون أوروبيون أيام وفرة، ويتحسرون لأنها ستنحسرُ لفترةٍ يبذلون أقصى جهودهم لكى تكون أقصر ما يمكن، هى العامل الرئيس وراء تدمير الطبيعة التى تُكشر عن أنيابها الآن، وتشيؤ الكائنات البشرية التى لا يدرك أغلبيتها الساحقة مدى الخراب الروحى والنفسى والأخلاقى الذى حل بهم لأسبابٍ من بينها مرض الاستهلاك اللعين.

يستطيعُ البشر الاستغناء عن غير قليلٍ من أنماط الاستهلاك السفيه الذى صار مرضًا مزمنًا فى العالم. وسيكونُ فى هذا الاستغناء حال حصوله خيرُ لهم وللكوكب الذى ألحقوا به، ومازالوا، الأذى الذى يشكون منه الآن رغم أنه مابرح فى بدايته, إذ تُنذر سلوكياتهمُ بعواقب بات غيرُ قليلٍ منهم يعرفونها، ولكنهم غير قادرين على وضع حدٍ لما سيترتبُ عليها، وفى مقدمته هذا الاستهلاك الجنونى.

ولا يتأتى الخيرُ الذى تلوحُ فرصته دون وضع خططٍ تُحَدَدُ فيها الأولويات بشأن الحاجات الحقيقية التى ينبغى السعى إلى تأمنيها، والسلع والخدمات التى يمكن الحد من استهلاكها، على أن يكون هدفُ هذه الخطة المساعدة فى تغيير أنماط الاستهلاك السفيه على المدى الطويل، وليس بشكلٍ مؤقت.

وإذا أخذنا أزمة الطاقة مثالا، حيث بدأت مؤسسات الاتحاد الأوروبى فى وضع خططٍ لترشيد الاستهلاك فى ظلت تناقص الإمدادات، نجدُ الكثير مما يمكن بل يتعينُ إدراجه فى مقدمة ما يُستغنى عنه أو يوضع حد لاستهلاكه. فلا يكفى ترشيد استهلاك الكهرباء فى المبانى الحكومية والمنازل والمكاتب وغيرها. ولا يصحُ تحديد الأولويات فى مجال إمداد المصانع ومواقع الإنتاج بالغاز على أساس الأكثر والأقل كثافة فى استهلاكه فقط، بل وفقًا لمدى الحاجة إلى السلع المُنتجة سواء كانت صناعاتها كثيفة الاستخدام للغاز من عدمه أيضًا. فما الحاجةُ، على سبيل المثال وليس الحصر، إلى إنتاج أشكالٍ وألوانٍ وموديلاتٍ لا نهائية من سلع الاستهلاك التفاخرى الكثيرة والمتنوعة، وألا يُعد الخلاص من الإدمان على كل جديدٍ فيها دون أدنى حاجةٍ إليه خيرًا ؟